أدلة البعث في القرآن الكريم

دراسة تفسيرية تحليلية

إعداد الدكتور

فهد صالح الخنه

كلية الشريعة – قسم التفسير – جامعة الكويت

أدلة البعث في القرآن الكريم دراسة تفسيرية تحليلية.

فهد صالح الخنة

كلية الشريعة – قسم التفسير – جامعة الكويت

fahdkhanna@gmail.com

ملخص الدراسة:

تعد قضية البعث من أهم القضايا العقيدة؛ لأن الإيمان بها من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الذي جاء في جملة عقائد المسلمين ، ولأن إنكار هذه العقيدة يخرج الإنسان من زمرة الإسلام؛ لأن إنكار البعث تكذيب لله تعالى في آياته الكثيرة التي ذكر فيها البعث والنشر والحشر، ونفي للحكمة عن الله تعالى ونسبة العبث له، كما أن إنكار البعث يأتي على باقي أصول الإيمان بالبطلان، ويهدر قاعدة التكليف الذي يقتضي مجازاة الإنسان على ما قدمه طيلة عمره، ويأتي هذا البحث ليتعرض لهذه الأدلة، ويعرض لتفسيرها وبيان وجه الدلالة فيها على إمكان البعث ووقوعه.

وقد قسمت دراستي إلى مقدمة ومبحثين؛ المبحث الأول: مفهوم البعث وأدلته الإجمالية وموقف الملل والنحل منه. والمبحث الثاني: أدلة البعث من القرآن الكريم دراسة موضوعية، ثم خاتمة تناولت نتائج الدراسة.

وقد اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، ومن خلاله قامت بتتبع الآيات القرآنية التي تمثل أدلة للبعث، ثم تناولت تفسير العلماء لها وبيان وجه الدلالة منها على وقوع البعث في الآخرة.

ومن أهم النتائج: أن نصوص الشرع الشريف وإجماع الأمة قد دلا على أن البعث من أصول الدين التي يجب أن يؤمن بها المسلم، فلا يكون مسلما يستحق الثواب على عباداته إلا بعد الإيمان بهذه العقيدة.

ومن أهم التوصيات: توجيه الدراسات الموضوعية للقضايا التي تتعلق بأصول الإيمان والتي تكرر ذكرها في القرآن الكريم، مثل الإيمان بالملائكة، والجن، مع ضرورة تتبع الآيات التي وردت في هذه القضايا بالتفسير والتدبر.

الكلمات المفتاحية: **أدلة البعث – القرآن الكريم – دراسة تفسيرية – دراسة تحليلية.**

BA'ath evidence in the Qur'an is an analytical interpretive study.

Fahad Saleh al-Khanna

Faculty of Sharia-Department of interpretation-Kuwait University

fahdkhanna@gmail.com

Abstract:

The issue of BA'ath is one of the most important issues of belief, because faith in it is one of the requirements of faith in the last day, which is stated in the doctrines of Muslims, and because the denial of this belief takes man out of the group of Islam; because the denial of BA'ath is a lie to God in his many verses in which he mentions the BA'ath, publishing and gathering, and negates the wisdom of God, and the rate of tampering with him.

I have divided my study into an introduction and two researchers; the first topic: the concept of BA'ath and its overall evidence and the attitude of boredom and bees from it. The second topic: BA'ath evidence from the Holy Quran is an objective study, then a conclusion dealt with the results of the study.

The study followed the descriptive method of analysis, through which it tracked the Qur'anic verses that represent evidence of the resurrection, and then dealt with the interpretation of the scholars and a statement of the face of the indication of the occurrence of the resurrection in the hereafter .

One of the most important results: that the texts of the Shari'ah and the consensus of the Ummah have indicated that the BA'ath is one of the assets of religion that must

be believed by the Muslim, not be a Muslim worthy of reward for his worship only after believing in this faith.

One of the most important recommendations is to direct objective studies of issues related to the origins of faith that are frequently mentioned in the Koran, such as belief in Angels and Jinn, with the need to follow the verses mentioned in these issues by interpretation and reflection.

Key words: Baath evidence-the Holy Quran - interpretative study-analytical study.

مقدمة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد،،،

فإن القضية من أخطر قضايا العقيدة؛ لأن الإيمان بها من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الذي جاء في جملة عقائد المسلمين الواردة في قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(١)، وإنكار هذه العقيدة يخرج الإنسان من زمرة الإسلام؛ لأن إنكار البعث تكذيب لله تعالى في آياته الكثيرة التي ذكر فيها البعث والنشر والحشر، ونفي للحكمة عن الله تعالى ونسبة العبث له، وهو أيضا ينافي كمال العلم وكمال الملك وكمال القدرة والله سبحانه وتعالى له العلم المطلق والقدرة التامة والملك الأكمل.

إن إنكار البعث يأتي على باقي أصول الإيمان بالبطلان، ويهدر قاعدة التكليف الذي يقتضي مجازاة الإنسان على ما قدمه طيلة عمره، ونظرا لأهمية هذه العقيدة تكررت الإشارة إليها في القرآن الكريم، وتنوعت الأدلة التي تناولت إثبات هذه القضية، بما يؤكد حرص القرآن الكريم على تقرير هذه العقيدة وعلى تقريبها من الفهوم بكل دليل ممكن، مما يفرض على

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

الباحث تدبر هذه الآيات عملا بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

ويأتي هذا البحث ليتعرض لهذه الأدلة، ويعرض لتفسيرها وبيان وجه الدلالة فيها على إمكان البعث ووقوعه.

(١) سورة يونس، الآية: ٢٤.

منهج الدراسة:

سأتبع في دراستي المنهج الوصفي التحليلي، ومن خلاله سأقوم بتتبع الآيات القرآنية التي تمثل أدلة للبعث، ثم أتناول بالدراسة تفسير العلماء لها وبيان وجه الدلالة منها على وقوع البعث في الآخرة.

خطة الدراسة.

المبحث الأول: مفهوم البعث وأدلته الإجمالية وموقف الملل والنحل منه.

المطلب الأول: تعريف البعث.

المطلب الثاني: الأدلة الإجمالية للبعث وأهمية الإيمان به.

المطلب الثالث: موقف الملل والنحل من البعث.

المبحث الثاني: أدلة البعث من القرآن الكريم دراسة موضوعية

المطلب الأول: منهج القرآن الكريم في تقرير عقيدة البعث.

المطلب الثاني: قياس النشأة الثانية على النشأة الأولى، قياس الإعادة على البدء.

المطلب الثالث: قياس البعث على خلق السماوات والأرض وما فيهما.

المطلب الرابع: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها وإخراج النار.

المطلب الخامس: ضرب الأمثلة الواقعية للبعث في الدنيا.

نتائج الدراسة.

المبحث الأول:

مفهوم البعث وأدلته الإجمالية وموقف الملل والنحل منه.

المطلب الأول: تعريف البعث.

أولا: تعريف البعث لغة.

ذكر ابن فارس أن (الباء والعين والثاء أصل واحد، وهو الإثارة)[١].

وقال الراغب: (أصل البعث: إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بعثته فانبعث، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علق به)[٢].

فالمعنى المحوري للبعث هو الإثارة والتحريك، فيصدق على التسيير فيقال: بعثت البعير فانبعث إذا حللت عقاله وسيرته، ويصدق على الإرسال فيقال: بعثه يبعثه بعثا: أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره. وابتعثه أيضا أي أرسله فانبعث. وفي حديث علي يصف النبي، صلى الله عليه وسلم، شهيدك يوم الدين، وبعيثك نعمة؛ أي مبعوثك الذي بعثته إلى الخلق أي أرسلته، فعيل بمعنى مفعول[٣]. وبعثت الجند إلى العدو، أي: أرسلتهم إليه، والبعث يكون نعتا للقوم يبعثون إلى وجه من الوجوه؛ مثل السفر والركب. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى﴾[٤]، معناه: أرسلنا[٥]. وانبعث فلان لشأنه إذا ثار ومضى ذاهبا لقضاء حاجته[٦].

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٢٦٦)

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٣٢).

(٣) لسان العرب (٢/ ١١٦) والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٥٢).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٠٣.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٢٠١)

(٦) لسان العرب (٢/ ١١٦).

ويصدق على الإيقاظ فيقال: بعثت النائم إذا أهببته. وفي الحديث: أتاني الليلة آتيان فابتعثاني[١]، أي: أيقظاني من نومي[٢].

وكذلك يستعمل في الفتنة لما بها من هيجان وثوران، ومن ذلك حديث حذيفة: (إن للفتنة بعثات ووقفات فمن استطاع أن يموت في وقفاتها فليفعل) [٣] أي: إثارات وهيجات. قال شمر: كل شيء أثرته فقد بعثته[٤].

وبعثه على الشيء: حمله على فعله. وبعث عليهم البلاء: أحله. وفي التنزيل العزيز: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[٥][٦].

وبعث الموتى: نشرهم ليوم البعث. وبعث الله الخلق يبعثهم بعثا: نشرهم؛ ومنه قوله جل وعز: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[٧]، أي: أحييناكم[٨]. وفي أسماء الله تعالى «الباعث» هو الذي يبعث الخلق، أي يحييهم بعد الموت يوم القيامة[٩].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن (٦/ ٦٩) حديث (٤٦٧٤).

(٢) لسان العرب (٢/ ١١٧).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٤٤٨) حديث (٣٧١١٨).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٢٠١)

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٥.

(٦) لسان العرب (٢/ ١١٦).

(٧) سورة البقرة، الآية: ٥٦.

(٨) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٢٠١).

(٩) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٣٨) و لسان العرب (٢/ ١١٧).

ثانيا: تعريف البعث اصطلاحا.

البعث في الاصطلاح يتفرع عن معناه في اللغة وهو في الاصطلاح بمعنى نشر الموتى وإحيائهم بعد إماتتهم.

وصفه ابن حزم فقال: (وأن البعث حق؛ وهو وقت ينقضي فيه بقاء الخلق في الدنيا فيموت كل من فيها؛ ثم يحيي الموتى؛ يحيي عظامهم التي في القبور وهي رميم ويعيد الأجسام كما كانت ويرد إليها الأرواح كما كانت)[1].

وقال الراغب البعث الإلهي ضربان: (أحدهما: إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن ليس[2]، وذلك يختص به الباري تعالى، ولم يقدر عليه أحد. والثاني: إحياء الموتى، وقد خص بذلك بعض أنبيائه، كعيسى صلى الله عليه وسلم وأمثاله، ومنه قوله عز وجل: ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾[3]) [4].

ولم أقف على ما يؤيد ما ذكره الراغب في إطلاق البعث على الخلق الذي هو إيجاد من عدم، لا في اللغة ولا في استعمالات القرآن الكريم، بل هذا المعنى يختص بالخلق على أحد المعاني[5].

---

(١) المحلى بالآثار (١/ ٣٥).

(٢) أي عن عدم.

(٣) سورة الروم، الآية: ٥٦.

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٣٢).

(٥) انظر: الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ١٨٣) وتفسير القرطبي (١/ ٢٢٦).

قال أبو الهلال العسكري: (بعث الخلق اسم لإخراجهم من قبورهم إلى الموقف ومنه قوله تعالى (من بعثنا من مرقدنا) [١].

ثم فرق بين البعث والنشور فالبعث اسم لإخراج الخلائق من قبورهم إلى الموقف، والنشور اسم لظهور المبعوثين وظهور أعمالهم للخلائق[٢].

ومعنى النشور قريب من معنى المعاد وهو مصدر أو اسم مكان ومعناه: "الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق وإلى الحياة بعد الموت والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة"[٣].

(١) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٨٩).

(٢) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٨٩).

(٣) شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ٢٠٧).

المطلب الثاني:

الأدلة الإجمالية للبعث وأهمية الإيمان به.

دلت نصوص الشرع الشريف وإجماع الأمة على أن البعث من أصول الدين التي يجب أن يؤمن بها المسلم، فلا يكون مسلما يستحق الثواب على عباداته إلا بعد الإيمان بهذه العقيدة.

أولا: القرآن الكريم.

تواطأت نصوص القرآن الكريم على إثبات عقيدة البعث وعلى إثبات المعاد وبراهين المعاد في القرآن على أربعة أنواع:

١ – قياس النشأة الثانية على النشأة الأولى، قياس الإعادة على البدء.

٢ – قياس البعث على خلق السماوات والأرض وما فيهما.

٣ – قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها وإخراج النار.

٤ – ضرب الأمثلة الواقعية للبعث في الدنيا.

وسوف أتطرق لأدلة البعث في القرآن الكريم بشكل تفصيلي في المبحث الثاني.

ثانيا: السنة النبوية.

أما السنة النبوية فقد دلت على وجوب الإيمان بالبعث وعلى كفر من أنكره أيضا ومما ورد في إثبات عقيدة البعث:

١ – ما روي عن أبي هريرة مرفوعا أن الله تعالى يقول: ((يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني ويكذبني وما ينبغي له، أما شتمه فقوله إن لي ولدا، وأما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بدأني)) (١).

وفي رواية: ((قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني، كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفئا أحد))(٢).

فهذا الحديث يدل على أن الله يبعث من في القبور على هيئتهم السابقة، كما يدل على كفر من لم يؤمن بذلك؛ لأنه حينئذ يكون مكذبا لله تعالى وآياته، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(٣).

قال الحافظ العراقي: (المراد هنا عبيد مخصوصون وهم منكرو بعث الأجسام وهم كفرة العرب، وجعلوا مكذبين لله سبحانه وتعالى لتكرار إخباره على ألسنة رسله ببعث العباد كلهم وإعادة الأرواح إلى أجسادها)(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه} [الروم: ٢٧] (٤/ ١٠٦) رقم (٣١٩٣).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٨٠).

(٣) سورة الأنعام: ٢١.

(٤) طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ١٦١).

٢ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بين النفختين[١] أربعون» قال: أربعون يوما؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهرا؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»[٢].

وهذا الحديث يدل على أن الله تعالى يبعث من في الأرض جميعا بعد إماتتهم، ويدل على أن الله سبحانه يعيد الأرواح إلى نفس الأجسام لا إلى أمثالها.

قال ابن الجوزي: (النفخة الأولى في الصور هي التي تموت الخلائق عندها. والنفخة الثانية هي التي يحيون عندها ... وقوله: ((ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب الذنب)) وهو العصعص، وهو العظم الذي يجد اللامس مسه في وسط الوركين. فإن قال قائل: فما فائدة إبقاء هذا العظم دون سائر الجسد؟ فقد أجاب ابن عقيل فقال: لله سبحانه في هذا سر لا نعلمه؛ لأن من ينحت الوجود من العدم لا يحتاج أن يكون لفعله شيء يبنى عليه، فإن علل هذا، فيجوز أن يكون الباري سبحانه جعل ذلك

---

(١) المراد النفختان في قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر: ٦٨].

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا زمرا (٦/ ١٦٥) رقم (٤٩٣٥) ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين (٤/ ٢٢٧٠) رقم (٢٩٥٥).

للملائكة علامة على أنه يحيي كل إنسان بجواهره بأعيانها، ولا يحصل العلم للملائكة بذلك إلا بإبقاء عظم من كل شخص ليُعلم أنه إنما أراد بذلك إعادة الأرواح إلى تلك الأعيان التي هذا جزء منها، كما أنه لما أمات عزيرا وحماره، أبقى عظام الحمار وكساها ليعلم أن هذا المنشأ ذلك الحمار لا غيره، ولولا إبقاء شيء لجوَّزت الملائكة أن تكون الإعادة للأرواح إلى أمثال الأجساد لا إلى أعيانها)[1].

٣ – حديث جبريل الذي عليه السلام والذي جاءت فيه الإشارة إلى وجوب الإيمان بالبعث وفيه جواب عن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ما الإيمان قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث»[2].

وقد أكد في هذا الحديث على وجوب الإيمان بالبعث بتكرار كلمة (تؤمن) للدلالة على أهميته.

قال ابن حجر العسقلاني: (وكأن الحكمة في إعادة لفظ وتؤمن عند ذكر البعث– الإشارة إلى أنه نوع آخر مما يؤمن به؛ لأن البعث سيوجد بعدُ، وما ذكر قبله موجود الآن، وللتنويه بذكره لكثرة من كان ينكره من الكفار ولهذا كثر تكراره في القرآن)[3].

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٤٥٤).

(٢) أخرجه البخاري، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (١/ ١٩) رقم (٥٠) ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الإيمان ما هو وبيان خصاله (١/ ٣٩) برقم (٩).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١/ ١١٨).

والخلاصة أن نصوص القرآن والسنة تتواطأ على التأكيد على أن عقيدة البعث مما يجب أن يؤمن به كل مسلم، وإلا لم يثبت له الإيمان بدين الإسلام بالجملة.

ثالثا: **الإجماع**.

تضافرت كلمة علماء المسلمين على أن البعث ركن من أركان الإسلام يكفر منكره وانعقد الإجماع على ذلك:

وقال ابن حزم: (واتفقوا أن البعث حق، وأن الناس كلهم يبعثون في وقت تنقطع فيه سكناهم في الدنيا)[١] قال: (وأما من زعم أن الأرواح تنتقل إلى أجساد أخر فهو قول أصحاب التناسخ، وهو كفر عند جميع أهل الإسلام)[٢].

وقال ابن عبد البر: (وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث فلا إيمان له ولا شهادة وفي ذلك مايغنى ويكفي مع ما في القرآن من تأكيد الإقرار بالبعث بعد الموت فلا وجه للإنكار في ذلك) [٣].

وقال الغزالي: (فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع كالذي ينكر حشر الأجساد، وينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنون وأوهام، واستبعادات من غير برهان قاطع، فيجب تكفيره قطعيا، إذ لا برهان على

(١) مراتب الإجماع (ص: ١٧٥).

(٢) المحلى بالآثار (١/ ٤٥).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٩/ ١١٦).

استحالة رد الأرواح إلى الأجساد، وذكر ذلك عظيم الضرر في الدين، فيجب تكفير كل من تعلق به) (١).

وقال القاضي عياض: (وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه، أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية، أو قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص وتعذيبها أو تنعهما فيها بحسب زكائها وخبثها) (٢).

وقال: (من أنكر الجنة، أو النار، أو البعث، أو الحساب، أو القيامة، فهو كافر بإجماع للنص عليه وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا) (٣).

ويقول البهوتي: (من ... جحد البعث كفر لتكذيبه للكتاب والسنة وإجماع الأمة) (٤).

وقال ابن حجر الهيتمي: (واعلم أن أهل السنة أجمعوا على أن الأجساد تعاد كما كانت في الدنيا بأعيانها وألوانها وأعراضها وأوصافها)(٥).

ويقول الشوكاني عن المعاد: (والحاصل أن هذا أمر اتفقت عليه الشرائع ونطقت به كتب الله عز وجل سابقها ولاحقها وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم ولم يخالف فيه أحد منهم وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك قط ولكنه

---

(١) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة (ص: ٥٦).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٦٠٦).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٦١٥).

(٤) كشاف القناع عن متن الإقناع (٦/ ١٦٨).

(٥) الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (ص: ٥).

ظهر رجل من اليهود زنديق يقال له موسى بن ميمون اليهودي الأندلسي فوقع منه كلام في إنكار المعاد واختلف كلامه في ذلك فتارة يثبته وتارة ينفيه ثم هذا الزنديق لم ينكر مطلق المعاد إنما أنكر بعد تسليمه للمعاد أن يكون فيه لذات حسية جسمانية بل لذات عقلية روحانية ثم تلقى ذلك عنه من هو شبيه به من أهل الإسلام كابن سينا فقلده ونقل عنه ما يفيد أنه لم يأت في الشرائع السابقة على الشريعة المحمدية إثبات المعاد وتقليدا لذلك اليهودي الملعون الزنديق مع أن اليهود قد أنكرو اعليه هذه المقالة ولعنوه وسموه كافرا)[1].

رابعا: الدليل العقلي.

إن الدليل العقلي يؤيد ما تتضمنه الأدلة السمعية من وجوب الإيمان بالبعث، وإن العقل السليم والحكمة الصائبة يرشدان إلى ذلك ويقتضيانه؛ لأنه يكون من العبث أن يترك الله تعالى العباد بلا حساب فلا يعاقب المسيء ولا يثيب المحسن، بل الحكمة تقتضي أن يكون ثمة يوم تجتمع فيها الخلائق ويقتصون من بعضهم البعض، وينال كل منهم الجزاء على حسب عمله، ولما كان العباد قد صنعوا أعمالهم بأجسامهم التي جاءوا به إلى الدنيا، فإن العدل يقتضي أن تجازى هذه الأجساد بأرواحها ما يناسب أفعالها، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[2].

(١) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات (ص: ١٤).

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

ومن هنا تظهر أهمية الإيمان بالبعث وخطورة هذه العقيدة بالجملة؛ لأن الإيمان بها من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الذي جاء في جملة عقائد المسلمين قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(١).

كما أن إنكار هذه العقيدة يخرج الإنسان من زمرة الإسلام حتى لو آمن باليوم الآخر؛ لأن ذلك تكذيب لله تعالى في آياته الكثيرة التي ذكر فيها البعث والنشر والحشر، وفيه نفي للحكمة عن الله تعالى ونسبة العبث له، تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا، وهو أيضا ينافي كمال العلم وكمال الملك وكمال القدرة والله سبحانه وتعالى له العلم المطلق والقدرة التامة والملك الأكمل.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

المطلب الثالث:

موقف الملل والنحل من البعث.

اختلف الملل والنحل في أمر البعث على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: إثبات البعث والقول بالمعاد الجسماني والروحاني وهذا مذهب المسلمين ومن تابعهم من اليهود والنصارى.

قال الشوكاني: (والحاصل أن هذا أمر اتفقت عليه الشرائع ونطقت به كتب الله عز وجل سابقها ولاحقها وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم ولم يخالف فيه أحد منهم، وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك قط)[1].

المذهب الثاني: إثبات المعاد الروحاني دون الجسماني.

عزاه الطوفي إلى الفلاسفة والنصارى[2].

وقال الغزالي عن الفلاسفة الإلهيين: (مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها، وتبديعهم في سبعة عشر. ولإبطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت أما المسائل الثلاث، فقد خالفوا فيها كافة المسلمين وذلك في قولهم: ١ – إن الأجساد لا تحشر، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح المجردة، والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية، ولقد صدقوا في إثبات الروحانية: فإنها

(١) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات (ص: ١٤).
(٢) انظر: الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية (ص: ٢٣٩).

كائنة أيضاً، ولكن كذبوا في إنكار الجسمانية، وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به)[١].

وذكر الشوكاني أن أول ظهور هذا المذهب في الإسلام كان بتأثير من "موسى بن ميمون" اليهودي، والذي اختلف كلامه في ذلك، فتارة يثبته وتارة ينفيه، ولم ينكر مطلق المعاد إنما أنكر بعد تسليمه للمعاد أن يكون فيه لذات حسية جسمانية بل لذات عقلية روحانية، ثم تلقى ذلك عنه من هو شبيه به من أهل الإسلام كابن سينا، فقلده ونقل عنه ما يفيد أنه لم يأت في الشرائع السابقة على الشريعة المحمدية إثبات المعاد[٢].

فشبهة هؤلاء: أن المعاد لم يخبر به إلا محمد صلى الله عليه وسلم على طريق التخييل، فما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لا يعدو أن يكون أمثالا ضربت لنفهم المعاد الروحاني[٣].

وهذا كذب فإن البعث والقيامة الكبرى أمور أخبر عنها الأنبياء أقوامهم، وذكر ذلك منصوص عليه في كثير من آيات القرآن الكريم، فقال تعالى جين أهبط آدم إلى الأرض: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[٤]، ولما قال إبليس اللعين: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[٥] وأما نوح عليه السلام فقال: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا

---

(١) المنقذ من الضلال (ص: ١٤٤).

(٢) انظر: إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات (ص: ١٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٤) وشرح الطحاوية (ص: ٤٠٤).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٥.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٣٦ – ٣٨.

وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[1] وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[2] وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3] وأما موسى عليه السلام، فقال الله تعالى لما ناجاه: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾[4] وقد أخبر الله في قصة البقرة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[5].

وسوف تأتي أدلة البعث في القرآن الكريم بتفصيل في المبحث الثاني، والغرض هنا تكذيب أن يكون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أول من أخبر بالبعث، وقد نقل الشوكاني أن اليهود أنكروا على موسى بن ميمون هذه المقالة ولعنوه وسموه كافرا[6].

المذهب الثالث: إنكار المعاد بالكلية.

وعزى هذا المذهب الغزالي إلى الفلاسفة الدهريين والطبيعيين. فقال عن الدهريين: (هم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا: أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه، وبلا صانع، ولم يزل

(١) سورة نوح، الآية: ١٧، ١٨.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٤) سورة طه، الآية: ١٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٧٣.

(٦) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات (ص: ١٤).

الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان، وكذلك يكون أبداً وهؤلاء هم الزنادقة)[١].

فهؤلاء أنكروا المبدأ والمعاد فجحدوا الصانع والبعث، وعندهم: أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى[٢]. وهم يظنون أن الحياة والموت تكون من امتزاجات الطبائع، وأن "تولد الأشخاص إنما كان بسبب حركات الأفلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع، وإذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة، وإذا وقعت على وجه آخر حصل الموت، فالموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الأفلاك"[٣].

وقد عرض القرآن الكريم لهذه الدعوى فقال سبحانه وتعالى على لسانهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٤] وقالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[٥].

قال ابن كثير: (يعتقدون جهلا منهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها، فرد الله تعالى عليهم باطلهم، فقال:ؤ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[٦])[٧].

---

(١) المنقذ من الضلال (ص: ١٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٦٩).

(٣) تفسير الرازي (٢٧/ ٦٧٨).

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٣٧.

(٥) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٦) سورة يس، الآية: ٣١.

(٧) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٧٤).

وأما الطبيعيون من الفلاسفة فقال عنهم الغزالي: (وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوان والنبات، وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات. فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى، وبدائع حكمته، مما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم، مطلع على غايات الأمور ومقاصدها ... لكنه يذكر أنهم ضلوا فذهبوا إلى (أن النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة، وأنكروا الجنة والنار والحشر والنشر، والقيامة، والحساب، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب، ولا للمعصية عقاب)[1].

وإنكار البعث مذهب مشركي قريش أيضا، وهؤلاء هم الذين ورد فيهم قوله تعالى في الحديث القدسي: ما روي عن أبي هريرة مرفوعا أن الله تعالى يقول: ((يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني ويكذبني وما ينبغي له، أما شتمه فقوله إن لي ولدا، وأما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بدأني))[2].

وفي رواية: ((قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني، كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفئا أحد))[3].

---

(١) المنقذ من الضلال (ص: ١٣٤).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٧).

(٣) تقدم تخريجه (ص: ٨).

وقد عرض القرآن الكريم لهذه الدعوى في كتابه العزيز فقال حكاية عنهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾(١) وقالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾(٢).

وتأويله على مذهب مشركي قريش: نكون أمواتا، أي نطفا ثم نحيا في الدنيا. وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي إن هي إلا حياتنا الدنيا نحيا فيها ونموت، كما قال: ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾(٣). وقيل:" نموت" يعني الآباء، "ونحيا" يعني الأولاد، وما نحن بمبعوثين بعد الموت(٤).

وقال عنهم: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾(٥).

ومعناه: لا موت إلا الموتة التي نموتها في الدنيا، ولا حياة بعدها ولا بعث.

وهو معنى قوله (وما نحن بمنشرين) أي بمبعوثين، يقال: أنشر الله الموتى ونشرهم إذا بعثهم والمراد ما العاقبة ونهاية الأمر، إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية(٦).

---

(١) سورة المؤمنين، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٧٨) وزاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢٦٢) وتفسير القرطبي (١٢/ ١٢٤).

(٥) سورة الدخان، الآية: ٣٤، ٣٥.

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩) وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٢/ ٤٠٤).

قال الرازي: (يعني أنه لا يأتينا شيء من الأحوال إلا الموتة الأولى، وهذا الكلام يدل على أنهم لا تأتيهم الحياة الثانية البتة، ثم صرحوا بهذا المرموز فقالوا وما نحن بمنشرين) [١].

قال ابن كثير: (يقول تعالى منكرا على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد، وأنه ما ثم إلا هذه الحياة الدنيا، ولا حياة بعد الممات، ولا بعث ولا نشور. ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا، فإن كان البعث حقا ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢] وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة، فإن المعاد إنما هو يوم القيامة لا في هذه الدار، بل بعد انقضائها وذهابها وفراغها يعيد الله العالمين خلقا جديدا، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا، يوم تكون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) [٣].

والخلاصة: **أن سائر أرباب الشرائع يقرون بالمعاد والبعث وأن جمهور المسلمين وعامتهم يقرون بالبعث كما نطقت به آيات القرآن الكريم وتظاهرت عليه أدلة السنة، وأن بعضهم ممن تأثر بالفلاسفة لا يقر بالمعاد الجسماني، كما يظهر أن هناك طوائف كافرة كفرا صريحا لا تقر بالمعاد والبعث ولا ترى أن ثمة حساب بالمرة، وسوف يأتي في المبحث الثاني تناول أدلة البعث في القرآن الكريم، والرد على منكريه بشيء من التفصيل.**

---

(١) تفسير الرازي (٢٧/ ٦٦٢).

(٢) سورة الدخان، الآية: ٣٦.

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٥٦).

المبحث الثاني: أدلة البعث من القرآن الكريم دراسة موضوعية

المطلب الأول:

منهج القرآن الكريم في تقرير عقيدة البعث.

حظيت قضية البعث بكثير من الجدل حتى إن أحد أنبياء الله تعالى الذين آمنوا بالبعث وأخبروا عنه أقوامهم سأل ربه أن يريه رؤيا عين كيف يحيى الموتى قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(١) فلم يكن ذلك شكا منه فقد أقر بإيمانه بالله تعالى وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أُخبرت عنه، ولهذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ليس الخبر كالمعاينة، وقد استجاب الله تعالى له ولبى رجاءه فقال: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

فقد أراد أن يجتمع لديه دليل العيان إلى دلائل الإيمان بأن يرى إحياء الموتى عيانا أمامه فيصل إلى ذروة اليقين، لكن المولى تبارك وتعالى لم يقصر هذا اليقين على إبراهيم عليه السلام وحده، ولكنه لفت خلقه في كثير من آياته إلى مظاهر قدرته على البعث وجاء القرآن الكريم في كثير من آيات الاستدلال على البعث بالأدلة العقلية الواضحة التي تقنع العقل وتملأ القلب يقينا.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

وهذه هي طريقة القرآن الكريم في تقرير العقائد الإيمانية حيث يحرص دائما على تقريرها بالأدلة العقلية التي لا تمتري العقول في صحة ما ترشد إليه.

وتتميز الطريقة القرآنية في الاستدلال على العقائد بعامة بالطابع البرهاني اليقيني القطعي الذي يفوق في صحته علي إثبات الصانع، ودلائل ربوبيته وقدرته، وبيان آيات الرسول ودلائل صدقه ما يوجد في كلام النظار والفلاسفة، وكل ما عند أئمة النظار أهل الكلام والفلسفة من الدلائل العقلية على المطالب الإلهية جاء القران بما هو أوضح منه وأدل وأصدق وأكمل وابلغ منها على أحسن وجه مع تنزهه عن الاغاليط الكبيرة الموجودة عند هؤلاء فأن خطأهم فيها كثير جدا ولعل ضلالهم أكثر من هداهم وجهلهم أكثر من علمهم(١).

ومرجع ذلك إلى أن الأدلة القرآنية بأنها أدلة سمعية صحيحة وأنها أدلة عقلية صريحة، فهي من جهة الإخبار لا يتطرق إليها الشك؛ لأنها متواترة وصحيحة النقل، ومن جهة الاستدلال تتناول الإرشاد والتنبيه والبيان للدلائل العقلية بما لا يتطرق إليه الاحتمال؛ إذ هي من لدن حكيم خبير لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه(٢). فكان نتاج ذلك أنه في الأدلة القرآنية "يتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول"(٣).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٩٣).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٦).

(٣) منهاج السنة النبوية (١/ ٣٠١).

ولهذا ذهب السلف الصالح الذين اكتفوا بالقرآن الكريم في الاستدلال على العقائد دون الخوض في مزالق علم الكلام واصطلاحات الفلاسفة، فجاءوا في ذلك بأحسن تقرير للعقائد مع التخلص من الأغاليط التي تشيع في كلام الفلاسفة والمتكلمين(١).

وهذا نفسه ما أقر به بعضهم. يقول الرازي: (لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروى غليلا.

ورأيت أقرب الطرق طريقة القران اقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾(٢): ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾(٣).

وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٤) و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾(٥) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)(٦).

وقد عرض القرآن الكريم لأدلة البعث عرضا فريدا متنوع الأدلة، لا يمكن أن تبقى معه نفس تشك في إمكانية البعث وضرورته، ولا قدرة الله تعالى عليه فهو كما سبق مقتضى سعة علمه وكمال قدرته وعظيم ملكه.

وقد شغلت أربعة محاور في القرآن الكريم هي:

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٨) .

(٢) سورة طه، الآية: ٥.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٩.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٥) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٦) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠١) طبقات الشافعيين (ص: ٧٨٠).

١ – قياس النشأة الثانية على النشأة الأولى، قياس الإعادة على البدء.

٢ – قياس البعث على خلق السماوات والأرض وما فيهما.

٣ – قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها وإخراج النار.

٤ – ضرب الأمثلة الواقعية للبعث في الدنيا.

وهذا ما سأعرض له متعرضا لآيات القرآن الكريم في ذلك بالشرح والتحليل والاستنباط في المطالب التالية.

المطلب الثاني:

قياس النشأة الثانية على النشأة الأولى، قياس الإعادة على البدء.

مما استدل به الكتاب العزيز على البعث قياس الإعادة على البدء، والقياس هنا هو قياس الأولى، وهو قياس يكون المقيس فيه أحق بالحكم من المقيس عليه(١)، وقد أشار الله تعالى لهذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٢). "يقول: لما كنت قادرا على الإيجاد أولا فلأن أكون قادرا على الإعادة أولى"(٣).

وقوله تعالى: (وَهُوَ أَهَونُ عَلَيْهِ) من قبيل ضرب المثل فلا شيء أشق على الله سبحانه وتعالى من شيء؛ وإنما خاطبنا المولى تبارك وتعالى بنا نفهمه؛ لأن المقدورات عندنا متفاوتة في العسر واليسر باختلاف القدرة التي تزيد وتنقص في حقنا، ولما كان إيجاد شيءٍ مستحيلاً منا، وإيجاد شيءٍ من شيءٍ ممكناً، فقد استعار سبحانه هذا المثل لتقريب المعنى، ولما استحال في حقه العجز والضعف عن إيجاد شيءٍ لا من شيءٍ. قال: ﴿وَلَهُ المثلُ الأعْلَى﴾ وذلك مطردٌ في سائر صفاته سبحانه من العلم والقدرة والحياة والرحمة والرضا والغضب. ومعناه: "له الوصف الأعلى

---

(١) انظر: المستصفى (ص: ٣٠٥) وروضة الناظر وجنة المناظر (٢/ ١٨٦-١٨٧) وشرح مختصر الروضة (٣/ ٣٥٠).

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٣) تفسير الرازي (٢/ ٣٥٥).

العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال، والجلال، والجمال، التي ليس لغيره ما يدانيها فضلاً عما يساويها"[١].

أما كون البعث أهون في نظر البشر فذلك؛ لأن إيجاد المبادئ أصعب في مطرد العرف وحكم العقل من رد شيءٍ كان إلى ما كان عليه[٢].

قال الزمخشري: (﴿وهو أهون عليه﴾: فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم؛ لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها، وتعتذرون للصانع إذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم: أول الغزو أخرق، وتسمون الماهر في صناعته معاودا، تعنون أنه عاودها كرة بعد أخرى، حتى مرن عليها وهانت عليه)[٣].

وقال تعالى في سياق هذا النوع من الأدلة: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾[٤].

ذكر سبحانه في هذه الآيات استهزاء المشركين بالرسول صلى الله عليه وسلم، وحكى عنهم استبعادهم البعث بعد صيرورتهم عظاما ورفاتا ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ وفي قولهم: ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾ إلى الحياة إذا كنا عظاماً ورفاتاً أو حجارة أو

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ٢٤٣)

(٢) انظر: استخراج الجدال من القرآن الكريم (ص: ٩٢).

(٣) تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) (٣/ ٤٧٦).

(٤) سورة، الإسراء، الآية: ٤٩، ٥١.

حديداً مع ما بين الحالتين من التفاوت، فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقيم عليهم الحجة بهذا القياس البديع، فقال له: قل يعيدكم الذي خلقكم واخترعكم أول مرة، عند ابتداء خلقكم من غير مثال سابق ولا صورة متقدمة فمن قدر على البدء والإنشاء قدر على الإعادة بل هي أهون(١).

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾(٢).

وهذه الآيات في نفس معنى الآيات السابقة وتفسيرها: ذلك أنه سبحانه وتعالى ذكر استبعاد الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت أن يعود مرة أخرى للحياة ليلقى حسابه، وقد قيل إنها نزلت في أبي بن خلف الجمحي كان منكرا للبعث وأنه هو الذي قال: ﴿أئذا ما مت لسوف أخرج حيا﴾ استهزاء وتكذيبا للبعث.

فرد عليه سبحانه هذا التعجب بقوله: ﴿أولا يذكر الإنسان﴾ أي أولا يذكر هذا المتعجب المنكر قدرة الله على إحيائه بعد فنائه، وإيجاده بعد عدمه في خلق نفسه، أن الله خلقه من قبل مماته، فأنشأه بشرا سويا من غير شيء، ﴿ولم يك﴾ من قبل إنشائه إياه ﴿شيئا﴾ فيعتبر بذلك ويعلم أن من أنشأه من غير شيء لا يعجز عن إحيائه بعد مماته، وإيجاده بعد فنائه(٣).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٥) وفتح البيان في مقاصد القرآن (٧/ ٤٠٤).

(٢) سورة مريم، الآيات: ٦٦، ٦٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٢٧) وتفسير البغوي (٥/ ٢٤٥).

قال ابن كثير: (يستدل، تعالى، بالبداءة على الإعادة، يعني: أنه تعالى قد خلق الإنسان ولم يك شيئا، أفلا يعيده وقد صار شيئا، كما قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾(١)، وفي الصحيح: ((يقول الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني، وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني، أما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من آخره، وأما أذاه إياي فقوله: إن لي ولدا، وأنا الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد))(٢))(٣).

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٤).

تتحدث هذه الآيات عن إبراهيم عليه السلام ومحاججته قومه الذين كذبوا بالله تعالى وعبدوا من دونه أوثانا صنعوها بأيديه، وفي سياق محاججته أثبت لهم المعاد مستخدما دليل البدء فالذي أوجد الخلق أول مرة قادر على أن يعيده مرة أخرى وذلك على الله تعالى يسير، فحاصل هذا الدليل

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٥١).

(٤) سورة العنكبوت، الآيات: ١٩، ٢٠.

احتاج بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء، فإذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الإبداء، فهو الذي وجب أن لا تعجزه الإعادة[١].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبرا عن الخليل عليه السلام، أنه أرشدهم إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه، بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم، بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا، ثم وجدوا وصاروا أناسا سامعين مبصرين، فالذي بدأ هذا قادر على إعادته؛ فإنه سهل عليه يسير لديه)[٢].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[٣].

وفي هذه الآيات يذكر المولى تبارك وتعالى مخاصمة الإنسان وجداله في البعث وإحياء الموتى، وضربه المثل برفات الوحشي فقد روى الطبري بسنده عن قتادة قوله: (قال من يحيي العظام وهي رميم) : ذكر لنا أن أبي بن خلف، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل، ففته، ثم ذراه في الريح، ثم قال: يا محمد من يحيي هذا وهو رميم؟ قال: "والله

---

(١) انظر: تفسير البغوي – إحياء التراث (٣/ ٥٥٣) وتفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٤٤٩) وتفسير القرطبي (١٣/ ٣٣٥) وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ١٧٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧٠).

(٣) سورة يس: ٧٧ – ٧٩.

يحييه، ثم يميته، ثم يدخلك النار؛ قال: فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد[١].

وروى بسنده مثل ذلك عن سعيد بن جبير أنه العاص بن وائل السهمي[٢] وبسنده إلى ابن عباس أنه عبد الله بن أبي[٣].

قال الطبري: (﴿فإذا هو خصيم﴾ يقول: فإذا هو ذو خصومة لربه، ... فيقول: من يحيي هذه العظام وهي رميم؟ إنكارا منه لقدرة الله على إحيائها ... ومثل لنا شبها بقوله (من يحيي العظام وهي رميم) إذ كان لا يقدر على إحياء ذلك أحد، يقول: فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق (ونسي خلقه) يقول: ونسي خلقنا إياه كيف خلقناه، وأنه لم يكن إلا نطفة، فجعلناها خلقا سويا ناطقا، يقول: فلم يفكر في خلقناه، فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشرا سويا ناطقا متصرفا، لا يعجز أن يعيد الأموات أحياء، والعظام الرميم بشرا كهيئتهم التي كانوا بها قبل الفناء ... ﴿وهو بكل خلق عليم﴾ يقول: وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت، وكيف يحيي، وكيف يبدىء، وكيف يعيد، لا يخفي عليه شيء من أمر خلقه)[٤].

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٥٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٥٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٥٤).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٥٥).

فكان الرد على هذه الشبهة من وجهين:

الوجه الأول: جدلاً يتضمن فساد شبهته من جهة أنه استبعد الإعادة والحياة في عظام وحشٍ وترك نفسه، وذلك أهم من إحياء الحيوان البهيم؛ لأن إيجاد الحيوان البهيم كان لأجل الإنسان.

الوجه الثاني: ﴿قلْ يحييها الذي أنشأها أوَّل مَرَّةٍ﴾ إلى آخر السورة فإن إيجاد المبادئ أصعب في مطرد العرف وحكم العقل من رد شيءٍ كان إلى ما كان عليه(١).

وقال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(٢)، ردا على من قال: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾(٣).

تتعرض هذه الآيات إلى قضية تعجب الكفار من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وعن استبعادهم أن يبعثوا مرة أخرى للحساب فقالوا: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾(٤)، أي: بعيد عن الأفهام أو العقول أو العادة أو الإمكان. فقرر الله سبحانه وتعالى لهم أن علمه محيط بكل شيء، فيعلم ما تنقص الأرض من أجسادهم، ومن أحاط علمه بكل شيء حتى انتهى إلى علم ما يذهب من أجساد الموتى في القبور لا يصعب

(١) انظر: استخراج الجدال من القرآن الكريم (ص: ٩٢).

(٢) سورة ق: ١٥.

(٣) سورة ق، الآية: ٣.

(٤) سورة ق، الآية: ٣.

عليه البعث، قال: ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ أي جامع لا يفوته شيء، وذلك إشعارا لهم بأنهم معاقبون على كل شيء يصدر عنهم(١).

وقد ذكر الكتاب العزيز في سياق هذه الآيات الحجة التي دمغهم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهي قياس الإعادة على البدء في قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(٢).

وهذا استفهام للتقريع والتوبيخ، يريد: أفعجزنا بالخلق حين خلقناهم أولاً ولم يكونوا شيئاً؟ فكيف نعجز عن بعثهم؟، والمعنى ما عيينا عن ذلك، فكيف نعيي عن بعثهم (٣)؟

وقال الزجاج: (هذا تقرير لأنهم اعترفوا بأن الله – عز وجل – الخالق، وأنكروا البعث)(٤).

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(٥).

ومعناه: على ما قال الطبري: (ما يشك هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث أنا لم نعي بالخلق الأول، ولكنهم في شك من قدرتنا على أن نخلقهم خلقا

---

(١) انظر: تفسير السمرقندي (٣/ ٣٣٢) وتفسير ابن عطية (٥/ ١٥٦) وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٣/ ١٦١).

(٢) سورة ق، الآية: ١٥.

(٣) انظر: تفسير السمرقندي (٣/ ٣٣٤) وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٣/ ١٦٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٤٣).

(٥) سورة ق، الآية: ١٥.

جديدا بعد فنائهم، وبلائهم في قبورهم)[1]. وهذا على معنى أن اللبس هو الشك.

وذهب الشيخ ابن عاشور إلى أن معنى اللبس هو: الخلط للأشياء المختلفة الحقائق بحيث يعسر أو يتعذر معه تمييز مختلفاتها بعضها عن بعض، ومعنى الآية حينئذ: إنهم اشتبه عليهم إحياء الموتى وهو ممكن عقلا بالأمر المستحيل في العقل فجزموا بنفي إمكانه فنفوه، وتركوا القياس بأن من قدر على إنشاء ما لم يكن موجودا هو على إعادة ما كان موجودا أقدر[2]. ولو أنهم آمنوا بالله حقا ونظروا في خلقه لما اشتبه عليهم ذلك لأن من قدر على خلق الشيء ابتداء فإنه أقدر على إعادته.

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٩٨).

المطلب الثالث:

قياس البعث على خلق السماوات والأرض وما فيهما.

ذكر المولى تبارك وتعالى القياس في إثبات البعث فنبه المنكرين له على أنه أمر ممكن بالقياس إلى ما هو أعظم منه في الخلق، فقاس البعث على خلق السماوات والأرض، ولا شك أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق الناس كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

قال البيضاوي: (لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها أولا من غير أصل قدر على خلق الإنسان ثانيا من أصل، وهو بيان لأشكل ما يجادلون فيه من أمر التوحيد. ولكن أكثر الناس لا يعلمون؛ لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم أهواء هم)[2].

وهذا الطريق هو ما يسمى بقياس الأولى أو قياس التنبيه أو فحوى الخطاب، وهو أن يكون الحكم في الفرع أجلى وأظهر منه في الأصل[3].

ويقوم هذا الدليل على إثبات إمكان المدعى بثبوت نظيره في الواقع، هذا الدليل وغيره مما يبرهن به على إمكان البعث هو إثبات الإمكان الخارجي بوجود ما هو أعظم منه، فإنه إذا علم بطل أن يكون ممتنعا. والإنسان

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥٧.

(٢) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (٥/ ٦١).

(٣) انظر: شرح مختصر الروضة (٣/ ٢٥٤).

يعلم الإمكان الخارجي: تارة بعلمه بوجود الشيء وتارة بعلمه بوجود نظيره وتارة بعلمه بوجود ما هو أبلغ منه فإن وجود الشيء دليل على أن ما هو دونه أولى بالإمكان منه. ثم إنه إذا بين كون الشيء ممكنا فلا بد من بيان قدرة الرب عليه وإلا فمجرد العلم بإمكانه لا يكفي في إمكان وقوعه إن لم تعلم قدرة الرب على ذلك[1]. فبين سبحانه هذا كله بمثل:

قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2].

وتأويله: ألم يتفكروا ولم يعلموا أن الذي خلق هذه الأجرام العظام من السموات والأرض ابتداء ولم يتعب هذا الخلق قدرته فقدرته سبحانه واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالإيجاد أبد الآباد، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟[3] "بلى؛ لأنهم كانوا مقرين بأن الله، هو الذي خلق السموات والأرض، وكانوا منكرين للبعث بعد مماتهم، فأخبرهم الله تعالى، بأن الذي كان قادرا على خلق السموات والأرض، يكون قادرا على إحيائهم بعد الموت. ثم قال بلى يعني: هو قادر على البعث إنه على كل شيء قدير من الإحياء والبعث"[4].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٩٨- ٢٩٩).

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٣٣.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٢١٨) وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٣/ ٤٠).

(٤) تفسير السمرقندي (بحر العلوم) (٣/ ٢٩٤).

قال الطوفي: (فهذا قياس لإحياء الموتى على خلق السماوات والأرض بجامع عظمة الفعلين في العقول أو إمكانهما في المعقول)[1].

وقوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

هذه الآية مثل الآية السابقة في إثبات البعث بدليل قياس الأولى، واحتجاج على منكري البعث؛ لأن خلق السموات والأرض أعظم في النفوس، وأجل في الصدور، من خلق البشر، لأن الله تعالى خلقهما ابتداء من غير سبق مادة، ولأنه خلق فيهما أجراما هائلة العِظَم وجعل استقرارهما من غير عمد، وأجرى فيهما الأفلاك بالكواكب من غير سبب، فكيف ينكر البعث وإحياء ما هو دونهما من كل وجه؟[3] ولكن أكثر الناس لا يعلمون؛ لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم أهواءهم[4].

وقوله: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (٥) أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ

(١) شرح مختصر الروضة (٣/ ٢٥٤).

(٢) سورة غافر، الآية: ٥٧.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٣٢٥) وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٢/ ٢٠٣).

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (٥/ ٦١).

فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)﴾[1].

وهذه الآيات داخلة في الاستدلال على إمكانية البعث بالقياس على إمكانية ما هو أعظم منه، وهو خلق السماوات والأرض فقوله: (أفلم ينظروا)؟ استفهام للتقريع والتوبيخ أي كيف غفل هؤلاء المنكرون للبعث عن النظر إلى السماء، فرفعناها بلا عمد (وزيناها) بالنجوم (وما لها من فروج) أي: شقوق تعيبها، وكيف غفلوا عن النظر إلى الأرض، وأنا مددناها أي: بسطناها على وجه الماء وألقينا فيها رواسي من الجبال الثقال، وأنبتنا فيها من كل صنف حسن كريم، تبصيرا وتذكيرا لكل عبد يؤوب إلى الله بالتدبر في آيات الله المستمرة المنصوبة في مقابلة البصائر، وآياته المتجددة المذكرة عند التناسي[2].

---

(١) سورة ق: ٢ – ١٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري (جامع البيان) (٢٢/ ٣٣٢) وتفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) (٤/ ٣٨١) وتفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير ==

ففي الآية بيان لإمكان ذلك وعدم امتناعه، فإن القادر على هذه الأمور العظيمة يقدر البعث وهو أقل منها خطرا[1].

==

الكتاب العزيز) (٥/ ١٥٧) وتفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) (٢٨/ ١٢٧) وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٣/ ١٦٢).

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٧/ ٦).

المطلب الرابع:

قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها وإخراج النار.

أما قياس الإعادة على إحياء الأرض فقد تكررت الإشارة إلى هذا الدليل في كثير من آيات القرآن الكريم فيذكر المولى تبارك وتعالى في سياق هذا الاستدلال قدرته على إرسال الرياح التي تثير السحاب وتبسطه في جو السماء ثم تفريقه إلى قطع متعددة ثم إنزاله الماء منه إلى الأرض التي تتلقاه فتخضر وتزدهر وتظهر فيها الحياة فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

قال ابن الجوزي: (قوله تعالى: كذلك نخرج الموتى أي: كما أحيينا هذا البلد. وقال مجاهد: نحيي الموتى بالمطر كما أحيينا البلد الميت به. قال ابن عباس: يرسل الله تعالى بين النفختين مطرا كمني الرجال، فينبت الناس به في قبورهم كما نبتوا في بطون أمهاتهم)[2].

قوله تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا**

---

(١) سورة الأعراف: ٥٧.

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٣٢).

مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)﴾[1].

قال الطبري: (إن الذي يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث، لمحيي الموتى من بعد موتهم، وهو على كل شيء مع قدرته على إحياء الموتى قدير، لا يعز عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه سبحانه)[2].

قال ابن كثير: (ثم نبه بذلك على إحياء الأجساد بعد موتها وتفرقها وتمزقها، فقال: ﴿إن ذلك لمحيي الموتى﴾ أي: إن الذي فعل ذلك لقادر على إحياء الأموات، ﴿إنه على كل شيء قدير﴾) [3].

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩)﴾ [4].

قال ابن كثير: (كثيرا ما يستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها ... ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك، فإن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها، فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها، اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، كذلك الأجساد، إذا أراد الله

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٨ – ٥٠.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١١٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٢٣).

(٤) سورة فاطر، الآية: ٩.

سبحانه بعثها ونشورها، أنزل من تحت العرش مطرا يعم الأرض جميعا فتنبت الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض؛ ولهذا جاء في الصحيح: "كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب"(١)؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾. وفي حديث أبي رزين: قلت: يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: "يا أبا رزين، أما مررت بوادي قومك محلا ثم مررت به يهتز خضرا؟ " قلت: بلى. قال: "فكذلك يحيي الله الموتى"(٢))(٣).

قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(٤).

قال الرازي: (يعني أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها هو القادر على إحياء هذه الأجساد بعد موتها، ... ثم قال: إنه على كل شيء قدير وهذا هو الدليل الأصلي وتقريره إن عودة التأليف والتركيب إلى تلك الأجزاء المتفرقة ممكن لذاته، وعود الحياة والعقل والقدرة إلى تلك الأجزاء بعد

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب {يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا} [النبأ: ١٨]: زمرا (٦/ ١٦٥) ح (٤٩٣٥) ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعةباب ما بين النفختين (٤/ ٢٢٧٠) ح (٢٩٥٥).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٠٨) رقم (٤٧٠) وقال الهيثمي: (رجاله موثقون). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ٨٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٣٦).

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٩.

اجتماعها أيضا أمر ممكن لذاته، والله تعالى قادر على الممكنات، فوجب أن يكون قادرا على إعادة التركيب والتأليف والحياة والقدرة والعقل والفهم إلى تلك الأجزاء، وهذا يدل دلالة واضحة على أن حشر الأجساد ممكن لا امتناع فيه ألبتة، والله أعلم)[1].

قال تعالى: ﴿**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**﴾[2].

قال الطبري: (كما يحيي الأرض بعد موتها، فيخرج نباتها وزرعها، كذلك يحييكم من بعد مماتكم، فيخرجكم أحياء من قبوركم إلى موقف الحساب)[3].

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**﴾[4]. قال الطبري: (كما أخرجنا بهذا الماء الذي نزلناه من السماء من هذه البلدة الميتة بعد جدوبها وقحوطها النبات والزرع، كذلك أيها الناس تخرجون من بعد فنائكم ومصيركم في الأرض رفاتا بالماء الذي أنزله إليها لإحيائكم من بعد مماتكم منها أحياء كهيئتكم التي بها قبل مماتكم) [5].

---

(١) تفسير الرازي (٢٧/ ٥٦٧).

(٢) سورة الروم، الآية: ١٩.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٨٥).

(٤) سورة الزخرف، الآية: ١١.

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٥٧٣)

فوجه الشبه بين إحياء الأرض وإحياء الموتى هو الإحياء بالماء.

وقال الرازي: (يعني أن هذا الدليل كما يدل على قدرة الله وحكمته فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة، ووجه التشبيه أنه يجعلهم أحياء بعد الإماتة، كهذه الأرض التي أنشرت بعد ما كانت ميتة)[1].

فوجه الشبه على هذا التفسير في مطلق القدرة على إحداث الحي بعد موته، والمقصود من التشبيه إظهار إمكان المشبه وقدرة المولى عليه[2].

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[3].

قال الطبري: (وقوله (كذلك الخروج) يقول تعالى ذكره: كما أنبتنا بهذا الماء هذه الأرض الميتة، فأحييناها به، فأخرجنا نباتها وزرعها، كذلك نخرجكم يوم القيامة أحياء من قبوركم من بعد بلائكم فيها بما ينزل عليها من الماء) [4].

واكتفى القرطبي بعموم الشبه فقال: (أي كما أحيا الله هذه الأرض الميتة فكذلك يخرجكم أحياء بعد موتكم) [5].

---

(١) تفسير الرازي (٢٧/ ٦٢٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ١٧١).

(٣) سورة ق، الآيات: ٩ – ١١.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣٦).

(٥) تفسير القرطبي (١٧/ ٧).

ويجمع الطوفي بين هذا وذلك بأنه ربما كان ذلك بما تمطره السماء فيقول: (هذه حجة أخرى على إمكان البعث ووقوعه، ... وتوجيهه أن أجزاء الجسم القارة في الأرض كحب الزرع في الأرض وإخراجه حيّا من الأرض كإخراج الحب نباتا منها ... وربما كان ذلك بواسطة ما تمطره السماء كمني الرجال تنبت فيه الأجسام كما تنبت الحبة في حميل السيل)[1].

أما قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر، فهو في موضع واحد في آخر «يس».

قال تعالى ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)﴾[2].

يستدل سبحانه وتعالي في سياق الرد على منكر البعث ضاربا المثل رفات وحش ميت[3] بمثل مشاهد من أمثال قدرته على إيجاد الأضداد من

(١) الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية (ص: ٥٩٧).

(٢) سورة، يس، الآيات: ٧٨ – ٨٣.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٥٤).

بعضها فيقول: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾. وذلك إشارة إلى عملية استخراج النار من الشجر، قال المفسرون الإشارة إلى شجر المرخ وشجر العفار، وهما نباتان ينبتان في أرض الحجاز إذا قطع منهما عودان مثل السِواكين وضرب أحدهما على الآخر انقدحت منهما النار وهما أخضران، وفي المثل: لكل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار. وقال الحكماء: في كل شجر نار إلا الغاب(١).

قال الطوفي: (إن البعث هو إخراج الجسم الحي المشتمل على الحرارة والرطوبة من عظم نخر، قد استولت عليه طبيعة التراب الباردة اليابسة، وذلك إخراج ضد من ضد وإيجاد طبع الحياة من طبع الموت، وأنه محال فيما زعموا فقيل لهم: هذا الشجر الأخضر الرطب قد أخرجنا لكم منه نارا في غاية اليبوسة، أنتم تستخرجونها بأيديكم من المرخ والعفار وغيرهما من الأشجار وهو إخراج يابس من رطب وضد من ضد؛ فإذا جاز إخراج يابس النار من رطب الشجر، فلم لا يجوز إخراج رطب الحي من يابس العظم النخر؟)(٢).

وذهب ابن كثير إلى أن المعنى: الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خَضِرا نَضِرا ذا ثمر وينع، ثم أعاده إلى أن صار حطبا يابسا، توقد به النار، كذلك هو فعال لما يشاء، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء(٣).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥٥٥ – ٥٥٧) وتفسير السمرقندي (٣/ ١٣٣) وتفسير ابن كثير (٦/ ٥٩٥).

(٢) الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية (ص: ٥٢٤).

(٣) انظر: تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٥/ ٣٤).

والاستدلال هنا على وجهين ذكرهما الماوردي؛ الوجه الأول: أن ينبه الله تعالى بذلك على قدرته التي لا يعجزها شيء. الثاني: أن يدل بها على إحياء الموتى كما أحييت النار بالإذكاء[1].

فهذه هي أدلة البعث من القرآن الكريم وهي كما قال الطوفي: (براهين القرآن بعد كل سؤال وجواب وتشكيك من ذي ارتياب تظهر أنها قوية متينة واضحة سالمة عن المبطلات، مستولية بالإبطال على الشبهات) [2].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٥٩٥).

(٢) الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية (ص: ٥٢٥).

المطلب الخامس:

ضرب الأمثلة الواقعية للبعث في الدنيا.

مما استخدمه القرآن الكريم في الاستدلال على البعث إبرازه للوجود والعيان بضرب الأمثلة لوقائع جرى فيها إحياء الموتى أمام الناظرين لأسباب وحكم جرى ذكرها في كل واقعة أذن سبحانه أن تقع في الوجود والعيان.

وميزة هذا الدليل أنه ليس دليلا برهانيا نظريا يمكن التناوع حوله، بل هو دليل وجودي يتم فيها مخاطبة الحواس قبل العقول، مما يقطع المجال أمام الشك والريب والمنازعة في إمكان القضية محل الجدل، ولا شيء أدل على إمكان الشيء من وجوده،. وهذا الطريق من طرق الاستدلال يدل على إمكان البعث وجوازه بوقوع نظائره بخلاف الطريق البرهاني الذي يخاطب العقل بوجوب البعث لإكرام الطائعين بجنته وإهانة المجرمين بعقوبته(١).

وقد عرض القرآن الكريم لكثير من الوقائع التي جرى فيها إحياء الموتى أمام أعين الناظرين، ومثل هذه الوقائع فيها من الإخبار بالموجود ما هو من أعظم الدلائل على القدرة والإمكان لإحياء الله الموتى، وصدق هذه الأخبار يعلم بما به يعلم صدق الرسول، ويعلم بأخبار أخرى من غير طريق الرسول، وإخبارهم بها من أعلام نبوته(٢).

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٧٥) واستخراج الجدال من القرآن الكريم (ص: ٩٦).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٧٧).

وقد كانت كل واقعة ترتبط بحكمة معينة من تربية لبعض الناس على الإيمان بالله تعالى وحسن الظن به أو تزكية لعقيدة ما أو الارتقاء بها من درجة إيمانية إلى درجة أعلى منها، وقد يرتبط الأمر بإرادته سبحانه في حفظ أوليائه والحيلولة بينهم وبين أعدائهم من مناوئيه وغير المؤمنين به سبحانه وتعالى وسوف أتتبع هذه الوقائع وأذكر ما فيها من حكم ووجه دلالة على قدرته سبحانه وتعالى على البعث وعلى جوازه وإمكانه:

١ – بعث قوم من موسى بعد إماتتهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١).

في هذه القصة يوبخ الله تعالى اليهود في جحدهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ويذكرهم بأسلافهم الجاحدين لآيات الله تعالى المكررين للمعصية، وماذا ألم بهم من عقوبات(٢)**، فيخبر عن قوم موسى الذين أساءوا الأدب مع الله تعالى، وقالوا له لن نصدقك ولن نعترف بنبوتك حتى نرى الله عيانا، فعاقبهم الله تعالى بأن نزلت عليهم صاعقة من السماء أماتتهم بعد توسل موسى عليه السلام لربه**(٣)**.**

وقد ذكر بعض المفسرين أن المراد بالموتى في آية البقرة السابقة السبعون الذين ورد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٥٥، ٥٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٨١).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١/ ٤٠٣) وتفسير ابن كثير (١/ ٢٦٤) وفتح البيان في مقاصد القرآن (٥/ ٢٩).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

فيكون هذا الاختيار للخروج إلى الميقات الذي كلم الله تعالى موسى، فقيل جاءهم بالصحف وما فيها من الأمر والنهي فلم يرضوا بذلك حتى يروا الله جهرة، وقيل: خرج بهؤلاء السبعين إلى طور سيناء، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام، حتى أحاط بالجبل كله ودنا موسى عليه السلام. ودخل فيه، وقال للقوم: ادنوا، فدنوا، حتى إذا دخلوا الغمام وقعوا سجدا، فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل. ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه فطلبوا الرؤية وقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الآية، فقال موسى عليه السلام: رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا، فالمراد منه قولهم: أرنا الله جهرة[1].

لكن بعض أهل العلم يذهب إلى القول بأن الرجفة في آية الأعراف غير الصاعقة في آية البقرة، وأن الميقات في هذه الآية غير ميقات الكلام والرؤية فقيل: إن هؤلاء السبعين وإن كانوا ما عبدوا العجل إلا أنهم ما فارقوا عبدة العجل عند اشتغالهم بعبادة العجل أو ما بالغوا في النهي عنه. وقيل: إنهم لما خرجوا إلى الميقات ليتوبوا دعوا ربهم وقالوا أعطنا ما لم تعطه أحدا قبلنا، ولا تعطه أحدا بعدنا، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك الكلام فأخذتهم الرجفة[2].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٨٦ – ٩٨) وتفسير ابن كثير (١/ ٢٦٤).

(٢) انظر: تفسير الرازي (١٥/ ٣٧٦) اللباب في علوم الكتاب (٩/ ٣٣٣).

ويترجح ذلك بثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أن الله تعالى ذكر في الأعراف قصة ميقات الكلام وطلب الرؤية ثم أتبعها بذكر قصة العجل ثم أتبعها بهذه القصة، والأليق بالفصاحة إتمام الكلام في القصة الواحدة في موضع واحد.

الوجه الثاني: أن سبحانه قال حكاية عن موسى: أتهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولم يقل بما قال السفهاء منا وهو الأليق بمقام الآية الأولى، فعلم من ذلك أن هذه الرجفة إنما حصلت بسبب إقدامهم على عبادة العجل لا بسبب إقدامهم على طلب الرؤية.

الوجه الثالث: أنه سبحانه وتعالى أن الله تعالى ذكر في ميقات الكلام والرؤية أنه خر موسى صعقا وأنه جعل الجبل دكا، وأما الميقات المذكور في هذه الآية، فإن الله تعالى ذكر أن القوم أخذتهم الرجفة، ولم يذكر أن موسى عليه السلام أخذته الرجفة، وهو الذي قال لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي؟ واختصاص كل واحد من هذين الميقاتين بهذه الأحكام يفيد ظن أن أحدهما غير الآخر[1].

وعليه يفاد من ذلك أن الله تعالى قد أمات من بني إسرائيل مجموعتين في ميقاتين الأول ميقات الكلام وطلب الرؤية، والثاني ميقات مختلف،

(١) انظر: تفسير الرازي (١٥/ ٣٧٦).

وأحياهما لمرة أخرى وهذا أقوى في الاستدلال على إمكان البعث وجوازه وأبلغ في التأكيد على قدرة الله تعالى التي وسعت كل شيء[1].

٢ – إحياء قتيل بني إسرائيل على عهد موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ

(١) هذا على القول بأن الرجفة أوجبت الموت كما ذهب بعض أهل العلم، وذهب آخرون إلى أن هذه الرجفة لم تتسبب في موتهم ولكن القوم لما رأوا تلك الحالة المهيبة أخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين منهم مفاصلهم، وتنقصم ظهورهم، وخاف موسى عليه السلام الموت، فعند ذلك بكى ودعا فكشف الله عنهم تلك الرجفة. انظر: تفسير البغوي (٢/ ٢٣٧) وتفسير الرازي (١٥/ ٣٧٧) واللباب في علوم الكتاب (٩/ ٣٣٥) وفتح البيان في مقاصد القرآن (٥/ ٣٠).

بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)﴾[1].

تحكي هذه الآيات عن قتيل بني إسرائيل الذي قتل على عهد موسى، ثم تنازع الناس فيمن قتله وكادت تحدث فتنة عظيمة فذهبوا إلى موسى عليه السلام ليفصل بينهم فهو نبي الله تعالى وعنده علم من لدنه، فأوحى الله له أن مرهم أن يذبحوا بقرة ويقذفوا القتيل بها فيعود للحياة ويذكر لهم نبأ من قتله، فلما فعلوا ذلك عاد القتيل للحياة وأخبرهم بمن قتله[2].

وقد ساق الله سبحانه وتعالى هذه القصة؛ ليذكر اليهود بسلفهم الذين طبعوا على الجحود والكفران، ويقيم الحجة على المكذبين بالبعث وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من مشركي العرب، فهذا المثال الواقعي للبعث من أدمغ الحجج على جواز البعث، وما عليهم إلا أن يسألوا اليهود عن خبر ما قصه الله تعالى في قصة البقرة.

قال الطبري: (وقوله: (كذلك يحيى الله الموتى) ، مخاطبة من الله عباده المؤمنين، واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث، وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا. فقال لهم تعالى ذكره: أيها المكذبون بالبعث بعد الممات، اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته، فإني كما أحييته في الدنيا، فكذلك أحيي الموتى بعد مماتهم، فأبعثهم يوم البعث. وإنما احتج جل ذكره بذلك

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٧ – ٧٣.

(٢) انظر: انظر: تفسير الزمخشري (١/ ١٤٨) وزاد المسير في علم التفسير (١/ ٧٨) وتفسير القرطبي (١/ ٤٥٦).

على مشركي العرب، وهم قوم أميون لا كتاب لهم، لأن الذين كانوا يعلمون علم ذلك من بني إسرائيل كانوا بين أظهرهم، وفيهم نزلت هذه الآيات، فأخبرهم جل ذكره بذلك، ليتعرفوا علم من قبلهم)[1].

٣ – إحياء ألوف من بني إسرائيل بعد إماتتهم.

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾[2]. تتناول هذه الآيات قصة قوم من بني إسرائيل فروا من بلادهم مخافة الموت قيل بسبب الطاعون، وكان قد نزل بهم، وقيل: إنهم أمروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت فأماتهم الله تعالى ثم بعثهم من موتهم بدعاء نبيهم[3].

قال ابن عباس: (كانوا أربعة آلاف، خرجوا فرارا من الطاعون، قالوا: "نأتي أرضا ليس فيها موت"! حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا، قال لهم الله:"موتوا". فمر عليهم نبي من الأنبياء، فدعا ربه أن يحييهم، فأحياهم، فتلا هذه الآية:"إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) [4].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٢٣٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

(٣) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٢/ ٦٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٢٦٧).

قال ابن عطية: (وإنما اللازم من الآية أن الله تعالى أخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أخبارا في عبارة التنبيه والتوقيف، عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارا من الموت، فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم، ليروا هم وكل من خلف بعدهم أن الإماتة إنما هي بيد الله لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف ولاغترار مغتر، وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي أمره المؤمنين من أمة محمد بالجهاد)(١).

وقد سيقت هذه القصة وأجريت مجرى المثل لحكمة معينة وهي تأكيد قدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة فلا أحد ناج من قضائه وقدره، وأن كل نفس كتب عليها الموت فهي لاقيته مهما كان ما تحصنت به ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾(٢)(٣).

قال أبو جعفر: (وإنما حث الله تعالى ذكره عباده بهذه الآية، على المواظبة على الجهاد في سبيله، والصبر على قتال أعداء دينه. وشجعهم بإعلامه إياهم وتذكيره لهم، أن الإماتة والإحياء بيديه وإليه، دون خلقه وأن الفرار من القتال والهرب من الجهاد ولقاء الأعداء، إلى التحصن في الحصون، والاختباء في المنازل والدور، غير منج أحدا من قضائه إذا حل بساحته، ولا دافع عنه أسباب منيته إذا نزل بعقوته، كما لم ينفع الهاربين من

---

(١) تفسير ابن عطية (١/ ٣٢٨).

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٣) انظر: تفسير الرازي (٦/ ٤٩٧) وتفسير القرطبي (٣/ ٢٣٠) وفتح البيان في مقاصد القرآن (٢/ ٦٢).

الطاعون ... فرارهم من أوطانهم، وانتقالهم من منازلهم إلى الموضع الذي أملوا بالمصير إليه السلامة) [١].

والآية دليل شاهد على إمكانية البعث، وأنه في نفسه جائز؛ لوقوعه في هذه القصة ولأن تركب الأجزاء على الشكل المخصوص ممكن، وإلا لما وجد أولا، ومتى ثبت هذا فقد ثبت الإمكان، ولأن الصادق قد أخبر عنه ففي هذه الآية، ومتى أخبر الصادق عن وقوع ما ثبت في العقل إمكان وقوعه وجب القطع به[٢].

وقد ختمت الآيات بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[٣]؛ ومناسبته: أن العرب الذين كانوا ينكرون المعاد كانوا متمسكين بقول اليهود في كثير من الأمور، فلما نبه الله تعالى اليهود على هذه الواقعة التي كانت معلومة لهم، وهم يذكرونها للعرب المنكرين للمعاد، فالظاهر أن أولئك المنكرين يرجعون من الدين الباطل الذي هو الإنكار إلى الدين الحق الذي هو الإقرار بالبعث والنشور فيخلصون من العقاب، ويستحقون الثواب، فكان ذكر هذه القصة فضلا من الله تعالى وإحسانا في حق هؤلاء المنكرين[٤].

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٥/ ٢٧٨).

(٢) انظر: تفسير الرازي (٦/ ٤٩٧).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

(٤) انظر: تفسير الرازي (٦/ ٤٩٨).

٤ – إحياء من استبعد قدرة الله على البعث.

قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

في هذه الآيات يتحدث المولى تبارك وتعالى عن نبي من أنبيائه رأى قرية خاوية على عروشها فاستعظم إحياء هذه القرية، بعد أن مات أهلها، وتهاوت سقُفُها وخارت جدرانها، فقال: "أنى يحيي هذه الله بعد موتها"، أي: متى يحيي أو كيف يحيي، وهو استبعاد لإحيائها وهي على تلك الحالة المشابهة لحالة الأموات المباينة لحالة الأحياء!!! (٢).

فضرب الله سبحانه وتعالى له المثل في نفسه بما هو أعظم مما سأل عنه، فأماته مائة سنة ثم بعثه من الموت؛ ثم ﴿قَالَ: كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي: لم يتغير مع طول تلك المدة، وهذا أثر عظيم من آثار قدرة الله تعالى، ثم أمره أن ينظر إلى حماره ليعاين قدرة الله تعالى على البعث ماثلة في إحياء حماره مرة أخرى أمام عينيه، فيرى كيف تفرقت أجزاؤه

---

(١) البقرة: ٢٥٩.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية (١/ ٣٤٨) وتفسير الرازي (٧/ ٢٩).

ونخرت عظامه وتقطعت أوصاله، ثم أخذت تعود كما كانت حال الحياة، بأن ارتفت العظام ببعضها، ثم أخذت تكسى لحما إلى أن تكون منها الحمار بكامل هيئته، حينئذ (تبين له) أي: لما اتضح له عياناً ما كان مستنكراً في قدرة الله عنده قبل عيانه من إحياء القرية. فـ (قال أعلم أن الله على كل شيء قدير)، أي: لا يستعصي عليه شيء من الأشياء، ويدخل تحته الإماتة والإحياء دخولاً أولياً[1].

وقد جعله الله سبحانه وتعالى آية للناس فقال عز من قائل ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ "ففي إماتته هذه المدة، ثم إحيائه أعظم آية، وأمره كله آية للناس غابر الدهر"[2]، فهو آية للناس في زمنه وبعده، أما في زمنه فهو أنه لما بعث جاء شابا وقد مات من كان يساكنه قبل موته أو شابَ، ثم في مجمل قصته آية وعلامة على قدرة الله تعالى على البعث لكل من سمع به[3].

ولهذا كانت هذه القصة حجة على المشركين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم حين أنكروا البعث وجحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم، قال الطبري مبينا حكمة هذه الآيات: (وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٤١) تفسير ابن عطية (١/ ٣٤٨) وتفسير الرازي (٧/ ٣٢) وفتح البيان في مقاصد القرآن (٢/ ١٠٥).

(٢) تفسير ابن عطية (١/ ٣٥٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٩٤).

الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه الذي بيده الحياة والموت من قريش، ومن كان يكذب بذلك من سائر العرب)[1].

٥ – إحياء الطير لإبراهيم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

تقص هذه الآية طلب إبراهيم عليه السلام من رب العباد أن يريه البعث رؤية عين بعدما آمن وصدق به بقلبه فقال عليه السلام (رب أرني كيف تحيى الموتى) فلما طلب صلى الله عليه وسلم ذلك قال له المولى عز وجل (أو لم تؤمن) أي ألم تصدق بأني قادر على الإحياء حتى تسألني إراءَته (قال بلى) علمت وآمنت بأنك قادر على ذلك (ولكن) سألت (ليطمئن قلبي) باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان؛ لأن الحس يحمل الإنسان على الإذعان أكثر مما يحمل الدليل العقلي[3]، فالمعنى: "سألتك ليطمئن قلبي بحصول الفرق بين المعلوم برهانا والمعلوم عيانا"[4].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٤٤٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٨٧) وزاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٣٦) وفتح البيان في مقاصد القرآن (٢/ ١٠٩).

(٤) تفسير القرطبي (٣/ ٣٠٠).

وقال بعض المفسرين: كانت حيرة إبراهيم في الكيفية لا في أصل القضية، فكان في حاجة إلى ما يذهب حيرته في هذه الكيفية، والمعنى: أنه طلب ما طلب ليطمئن عقله الحائر إلى معرفة كيفية الإعادة، وهي فوق القدرة العقلية البشرية[١].

فأمره الله سبحانه وتعالى أن يأخذ أربعة أفراد من الطير وقال له: (فصرهن إليك) أي اضممهن إليك ثم قطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً فيه، (ثم ادعهن) أي: قل لهن: تعالين بإذن الله تعالى (يأتينك سعياً) أي مشياً سريعاً. فهو أبعد من الشبهة؛ لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطيور الأولى، أو أن أرجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة (واعلم أن الله عزيز حكيم) في كل أمره ومن ذلك أمر الصنعة[٢].

فهذه القصة دليل على إثبات الحشر والنشر والبعث كما ذكر الرازي[٣]. وقال قتادة: (هذا مثل آتاه الله إبراهيم، يقول: كما بعث هذه الأطيار من هذه الأجبل الأربعة، كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الأرض ونواحيها)[٤].

---

(١) انظر: زهرة التفاسير (٢/ ٩٦٥).

(٢) انظر: تفسير الرازي (٧/ ٣٨) وزاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٣٦) وفتح البيان في مقاصد القرآن (٢/ ١١٢).

(٣) انظر تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٧/ ٢٠)

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٥/ ٥٠٦).

٥ – قصة أهل الكهف.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾[1].

تتعرض هذه الآيات الكريمة إلى قصة أخرى تؤكد على قدرة الله تعالى على البعث وعلى جوازه وهوانه على الله سبحانه وتعالى، فتذكر أن مجموعة من الشباب خرجوا من مدينتهم خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار الذين أمروهم بعبادة غير الله، ثم اختفوا في كهف قريب من المدينة وأخذوا يعبدون الله تعالى ويسألونه أن يرحمهم ويهيئ لهم من أمرهم مرفقا

(١) سورة الكهف، الآيات:٩ – ١٩.

قال تعالى ذاكرا عنهم قولهم هذا: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١)﴾ وقد استجاب الله تعالى دعوتهم فألقى الله عليهم النوم مدة ثلاثمائة وتسع سنين، ثم أيقظهم الله تعالى من نومهم وعبر عن هذا الإيقاظ بلفظ البعث فقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ وقال: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ تذكيرا بقدرته على الإماتة والبعث جميعاً[١].

وقد قال بعض المفسرين منهم الطبري ابن عطية والرازي: إن وعد الله تعالى في قوله ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾[٢]. هو البعث والنشر، وروا في ذلك أن ملك ذلك الوقت كان ممن ينكر البعث إلا أنه كان مع كفره منصفا، فجعل الله أمر الفتية دليلا للملك، وقيل بل اختلفت الأمة في ذلك الزمان فقال بعضهم: الجسد والروح يبعثان جميعا، وقال آخرون: الروح تبعث، وأما الجسد فتأكله الأرض[٣].

قال الطبري: (﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يقول: كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا في شك من قدرة الله على إحياء الموتى، وفي مرية من

---

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٦٧) وتفسير البيضاوي (٣/ ٢٧٤) و تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٢٨٧) وفتح البيان في مقاصد القرآن (٨/ ١٦-١٧) وزهرة التفاسير (٩/ ٤٤٩٥).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري (جامع البيان) (١٧/ ٦٤٠) وتفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) (٣/ ٥٠٧) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) (٢١/ ٤٤٧).

إنشاء أجسام خلقه، كهيئتهم يوم قبضهم بعد البلى، فيعلموا أن وعد الله حق، ويوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم ساق بسنده عن قتادة: قوله: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ يقول: أطلعنا عليهم ليعلم من كذب بهذا الحديث، أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها)[1].

وقال ابن عطية: (والضمير في قوله ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ يحتمل أن يعود على الأمة المسلمة الذين بعث أهل الكهف على عهدهم، وإلى هذا ذهب الطبري[2]، وذلك أنهم، فيما روي، دخلتهم حينئذ فتنة في أمر الحشر وبعث الأجساد من القبور، فشك في ذلك بعض الناس واستبعدوه، وقالوا إنما تحشر الأرواح، فشق على ملكهم ذلك وبقي حيران لا يدري كيف يبين أمره لهم، حتى لبس المسوح وقعد على الرماد، وتضرع إلى الله في حجة وبيان، فأعثر الله على أهل الكهف، فلما بعثهم الله، وتبين الناس أمرهم، سر الملك ورجع من كان شك في بعث الأجساد إلى اليقين به)[3].

وعلى هذا التأويل يجوز أن يكون قوله تعالى ﴿إذ يتنازعون بينهم﴾ متعلقا بقوله تعالى ﴿أعثرنا﴾ أي: أعثرناهم عليهم حين تنازعوا في صحة البعث، فقال من آمن بالبعث: (كما قدر الله على حفظ أجسادهم مدة ثلاثمائة سنة وتسع سنين فكذلك يقدر على حشر الأجساد بعد موتها) [4].

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٦٤٠).

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٠٦ – ٥٠٧).

(٣) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٠٦ – ٥٠٧).

(٤) انظر: تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) (٣/ ٥٠٧) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) (٢١/ ٤٤٧).

والحاصل أن هذه القصة وغيرها من القصص الذي ذكره القرآن الكريم في شأن البعث من أقوى الأدلة على إمكانه وجوازه وهوانه على الله تعالى؛ إذ وقوع الشيء خير دليل على إمكانه وعلى قدرة مُوقعه على تكرار إيقاعه حين يشاء.

نتائج الدراسة.

تعرضت هذه الدراسة لأدلة البعث في القرآن الكريم، فمهدت للحديث قبل هذه الأدلة بتعريف البعث وأدلته الإجمالية من الكتاب والسنة والإجماع، ثم تناولت بالتفصيل جميع ما ورد في هذه القضية من أدلة بالتفسير والتحليل وبيان وجه الدلالة، فجاءت هذه الدراسة وافية بمجمل أدلة القرآن الكريم، تفيد الباحث في العقيدة والتفسير والتاريخ، وفي ضوء ذلك يمكن تقرير النتائج التالية كأبرز ما خلصت إليه الدراسة:

❖ دلت نصوص الشرع الشريف وإجماع الأمة على أن البعث من أصول الدين التي يجب أن يؤمن بها المسلم، فلا يكون مسلما يستحق الثواب على عباداته إلا بعد الإيمان بهذه العقيدة.

❖ اختلفت الملل والنحل في أمر البعث على ثلاثة مذاهب؛ فمنهم: من يثبت البعث ويقول بالمعاد الجسماني والروحاني، وهذا مذهب المسلمين ومن تابعهم من اليهود والنصارى. ومنهم من يثبت المعاد الروحاني دون الجسماني. وهو مذهب الفلاسفة الإلهيين ومن وافقهم من القرامطة الباطنية والفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، ومنهم من ينكر المعاد بالكلية كما هو حال كفار قريش، وهو مذهب الفلاسفة الدهريين والطبيعيين.

❖ شغلت أدلة البعث أربعة محاور في القرآن الكريم هي:

١ – قياس النشأة الثانية على النشأة الأولى، قياس الإعادة على البدء، وفي هذا المحور يستدل القرآن الكريم على البعث بقياس الأولى، وهو قياس يكون المقيس فيه أحق بالحكم من المقيس عليه، مثلما ورد في

قوله تعالى: ﴿وهوَ الذي يَبدأُ الخلقَ ثم يعيدُهُ وهو أهونُ عليهِ ولَهُ المثَلُ الأعلى في السمواتَ والأرضِ وهُوَ العزيز الحكيم﴾(١). يقول: لما كنت قادرا على الإيجاد أولا فلأن أكون قادرا على الإعادة أولى.

٢ – قياس البعث على خلق السماوات والأرض وما فيهما. وفي هذا المحور ينبه القرآن القرآن الكريم المنكرين للبعث على أنه أمر ممكن بالقياس إلى ما هو أعظم منه في الخلق، فقاس البعث على خلق السماوات والأرض، ولا شك أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق الناس كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

٣ – قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها وإخراج النار. فيذكر المولى تبارك وتعالى في سياق هذا الاستدلال قدرته على إرسال الرياح التي تثير السحاب وتبسطه في جو السماء ثم تفريقه إلى قطع متعددة ثم إنزاله الماء منه إلى الأرض التي تتلقاه فتخضر وتزدهر وتظهر فيها الحياة فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٢) سورة غافر، الآية: ٥٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

٤ – ضرب الأمثلة الواقعية للبعث في الدنيا. وفي هذا المحور يضرب القرآن الكريم الأمثلة بوقائع جرى فيها إحياء الموتى أمام الناظرين، وهذا الطريق من طرق الاستدلال يدل على إمكان البعث وجوازه بوقوع نظائره بخلاف الطريق البرهاني الذي يخاطب العقل بوجوب البعث لإكرام الطائعين بجنته وإهانة المجرمين بعقوبته.

المصادر والمراجع

❖ إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، للشوكاني، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

❖ استخراج الجدال من القرآن الكريم، لابن الحنبلي، الدكتور زاهر بن عواض الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ.

❖ الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، للطوفي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل.

❖ تفسير ابن أبي حاتم، لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ.

❖ تفسير ابن عاشور، (التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

❖ تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

❖ تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

❖ تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، للبغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

❖ تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)،

❖ تفسير الرازي، (مفاتيح الغيب) دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

❖ تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

❖ تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، لأبي الليث السمرقندي.

❖ تفسير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) لابن جرير الطبري، تحقيق: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار، دار ابن الجوزي، الطبعة: الثامنة، ١٤٣٠ هـ.

❖ تفسير القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

❖ تفسير الماوردي (النكت والعيون)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

❖ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

❖ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧ هـ.

❖ تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

❖ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

❖ درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

❖ روضة الناظر وجنة المناظر، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

❖ زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

❖ زهرة التفاسير، للشيخ محمد أبي زهرة، دار الفكر العربي.

❖ سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

❖ شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة، الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

❖ شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني، دار المعارف النعمانية، سنة النشر ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

❖ شرح مختصر الروضة، للطوفي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

❖ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، دار الفيحاء – عمان، الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ.

❖ صحيح البخاري، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

❖ صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

❖ طبقات الشافعيين، لابن كثير، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.

❖ طرح التثريب في شرح التقريب، للحافظ العراقي، الطبعة المصرية القديمة – وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).

❖ الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيتمي، دار الفكر.

❖ فتح الباري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

❖ فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

❖ الفروق اللغوية للعسكري، تحقيق: حمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

❖ فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، للغزالي، تحقيق: محمود بيجو، ط١، ١٩٩٣.

❖ كشاف القناع عن متن الإقناع، للبهوتي، دار الكتب العلمية، بيروت.

❖ كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض.

❖ اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

❖ لسان العرب، لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

❖ المحلى بالآثار، لابن حزم، دار الفكر – بيروت.

❖ مراتب الإجماع، لابن حزم، دار الكتب العلمية – بيروت.

❖ المستصفى، للغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

❖ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.

❖ معاني القرآن وإعرابه للزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

❖ المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

❖ مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

❖ المنقذ من الضلال، للغزالي، تحقيق: عبدالحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر.

❖ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

❖ الهداية الى بلوغ النهاية، لابن أبي طالب المكي، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

فهرس الموضوعات

مقدمة
المبحث الأول: مفهوم البعث وأدلته الإجمالية وموقف الملل والنحل منه.
المطلب الأول: تعريف البعث.
المطلب الثاني: الأدلة الإجمالية للبعث وأهمية الإيمان به.
المطلب الثالث: موقف الملل والنحل من البعث.
المبحث الثاني: أدلة البعث من القرآن الكريم دراسة موضوعية
المطلب الأول: منهج القرآن الكريم في تقرير عقيدة البعث.
المطلب الثاني: قياس النشأة الثانية على النشأة الأولى، قياس الإعادة على البدء.
المطلب الثالث: قياس البعث على خلق السماوات والأرض وما فيهما.
المطلب الرابع: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها وإخراج النار.
المطلب الخامس: ضرب الأمثلة الواقعية للبعث في الدنيا.
نتائج الدراسة.